منبر التوحيد والجهاد - أسئلة وأجوبة حول العذر بالجهل

أسئلة وأجوبة حول العذر بالجهل

علي الخضير

هل يعذر الجهل بالعقيدة أم لا ؟ وإذا عذر بالجهل هل لنا أن نقول أنه لم يحبط عمله بجهله أم يحبط عمله ؟

الجواب :

في باب الشرك الأكبر فلا عذر بالجهل ، وهذا محل إجماع. نقل الإجماع في عدم العذر بالجهل ابن القيم في طريق الهجرتين ونقله أئمة الدعوة.

فكل من فعل الشرك الأكبر بأن ذبح لغير الله أو استغاث بالأولياء أو المقبورين أو شرع قانونا ونحوه فهو مشرك ولو كان جاهلا أو متأولا أو مخطئا.

قال ابن تيمية في الفتاوى [37-20/38] : (واسم الشرك يثبت قبل الرسالة لأنه يعدل بربه ويشرك به اهـ ومعنى كلام ابن تيمية انه يسمى مشركا إذا عدل بربه وأشرك به ولو قبل الرسالة) ، أي ولو كان جاهلا.

وإذا أردت بسط هذه المسألة فقد ذكرتها في كتبي الآتية :

1- كتاب المتممة لكلام أئمة الدعوة.
2- كتاب الجمع والتجريد شرح كتاب التوحيد في باب الخوف من الشرك.
3- كتاب التوضيح والتتمات على كشف الشبهات.

أما في باب المسائل الظاهرة التي يعلمها العامة لمن لم يعش بين المسلمين وكان في بادية بعيدة , أو حديث عهد بكفر , أو عاش ونشأ في بلاد الكفار فهذا يعذر بالجهل والتأويل حتى يعلم .

أما في باب المسائل الخفية التي لا يعلمها إلا العلماء أو الخاصة فهذه يعذر بالجهل والتأويل حتى يعاند وتزول عنه الشبهة , إن كان الغالب في الزمن الجهل.

وفي باب المسائل الظاهرة والمسائل الخفية لا فرق بين مسائل العقيدة أو مسائل
الفقه والأحكام كلها واحد.

أما مسألة حبوط العمل : فهذه متعلقة بالموت على ماذا مات عليه لقوله {ومن
يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبط اعملهم}.

وان أردت الحصول على الكتب السابقة أعلاه فهي موجودة في موقع السلفيون في
الصفحة التي أعدها الإخوة في موقع السلفيون لكتبنا جزاهم الله خيرا. وكلها
أيضا موجودة في موقعنا على الشبكة ، وفي موقع صيد الفوائد وفقهم الله وجزاهم
خيرا ، فهذه ثلاث مواقع على شبكة الانترنيت عليها كتبنا ولله الحمد.

* * *

يدعي بعض خصوم الدعوة السلفية أن في كتب أعلام الدعوة السلفية - في نجد في
القرنين السابقين - تكفير وعدم عذر بالجهل وكثير من الأخطاء ، وأن مشايخ
السلفية المعاصرين لا يوافقون المتقدمين ولا يجرئون على بيان تخطئتهم تحت
ستار احترام العلماء !! وكأنهم معصومين.
والسؤال : الذي أراه أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد انحرف بها المرجئة
كثيرا ، أو أن الشيخ تكفيريا كما يقول خصومه ، لأن الجمع بين حال وأقوال
المتقدمين والعلماء المتأخرين واضح التكلف. فهل تكرمت شيخنا برد سوء فهمي ؟
والسؤال بصورة أوضح : لو خرج الإمام محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة في هذا
الحال فمإذا سيكون مصيره وموقفه بناء على ثوابته ومنهجه.
أرجو الشيخ التفصيل وعدم الإجمال و الله اعلم ؟

الجواب :

أئمة الدعوة منذ الإمام العلامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى وقتنا الحاضر ،
وهم مجمعون بدون استثناء على عدم العذر بالجهل في الشرك الأكبر ، بل من ذبح
لغير الله أو استغاث ودعا الموتى أو صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله
أو شارك الله في التشريع فإنهم يسمونه مشركا ، ولو كان جاهلا أو متأولا أو
مقلدا.

قال به محمد بن عبد الوهاب وقال به ابنيه عبد الله وحسين وأيضا حمد بن معمر
وعبد العزيز الحصين ، وكان هؤلاء هم الأئمة بعد الشيخ محمد (. . .) ولما
سئل عن ذلك.

وقال به المجدد الثاني الإمام العلامة عبد الرحمن بن حسن ورسائله في الدرر
وفي مجموع الرسائل والمسائل شاهدة بذلك وساعده عليه تلميذه الشيخ عبد الله
أبا بطين ، ثم قال به الإمام العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن المجدد الثالث
وساعده أخوه إسحاق بن عبد الرحمن في كتابه القيم " تكفير المعين " ، ثم قال
به عبد الله وإبراهيم ابنا الشيخ عبد اللطيف ، وساعدهما عليه الشيخ ابن سحمان
، ثم الشيخ محمد بن إبراهيم وعليه تلامذته فيما اعلم من غير فرق.

ثم عليه المشايخ : عبد الله بن حميد ، وعبد العزيز بن باز رحمهما الله وأعضاء
اللجنة الدائمة التي رأسها الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله ، وعليه شيخنا
العلامة حمود بن عقلاء الشعيبي رحمه الله.

لا تجد أحدهم يختلف في ذلك.

فأين المخالف في ذلك منهم ؟! وإنما الخلاف في ذلك المتأخرون ممن هجر كتب أئمة
الدعوة ورأى فيها الغلو وإن كان لهم درجات عليا في الجامعات وتخرجوا من
الكليات ، فهم الذين لبسوا على الناس هذه المسألة وفهموا من كلام ابن تيمية

خلاف ما أراد في باب الشرك الأكبر.

وقد نبه على ذلك أئمة الدعوة كثيرا في نقلهم عن ابن تيمية حينما تكلم عن أهل البدع والأهواء والعذر فيهم بالجهل والتأويل فطبقوا ذلك على الشرك الأكبر ولم يدركوا ويفهموا أن ابن تيمية يفرق بين البابين.

ولذا قال في الفتاوى [20/38-37] : (واسم الشرك يثبت قبل الرسالة لأنه يعدل بربه ويشرك به) ، وانظر كلامه في الرد على البكري وفي كلامه عن الجهال من التتار الذين يعبدون غير الله ، فقد سماهم مشركين وعبادا لغير الله مع جهلهم.

ومن أراد بسط أقوالهم فقد نقلتها في كتبي التالية :

1- كتاب الرسالة المتممة لكلام أئمة الدعوة في الجهل في الشرك الأكبر.
2- كتاب الجمع والتجريد شرح كتاب التوحيد باب الخوف من الشرك.
3- كتاب التوضيح والتتمات على كشف الشبهات في الربع الأول منه.

* * *

ما حكم من لم تصله رسالة الإسلام بعقيدتها الصافية ومات على ذلك ؟ مثلا وصلته رسالة مشوهة عن الإسلام ، هل يعتبر كافرا ؟

الجواب :

ولا زال سؤالك فيما نفهم عن أهل الكتاب.

فإذا مات من لم تصله رسالة الإسلام الصافية وإنما وصلته مشوهة ، وهو لا يعبد الله ، وإنما يفعل الشرك والكفر فهذا ليس بمسلم وإنما هو مشرك كافر ، قال تعالى {ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين} ، وقال تعالى {إن الدين عند الله الإسلام}.

وفي الحديث الصحيح (لن تدخل الجنة إلا نفس مسلمة).

قال ابن حزم رحمه الله : (وقال سائر أهل الإسلام كل من اعتقد بقلبه اعتقادا
لا يشك فيه وقال بلسانه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن كل ما جاء
به حق وبرئ من كل دين سوى دين محمد r فإنه مسلم مؤمن ليس عليه غير ذلك)
[الفصل 4/35]. ويأتي إن شاء الله في آخر الإجابة كلام ابن القيم وحكاية
الإجماع.

أما أن الدعوة ورسالة الإسلام وصلته مشوهة فهذا ليس بعذر ويعتبر كافرا قال
تعالى { ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم } ، بل دلت النصوص على إن الرسالة
شوهت ، فلقد شوه يهود المدينة دعوة الرسول rصلى الله عليه وسلم على عوامهم
ولم يعتبر ذلك عذرا في حقهم.

بل ما جاءت دعوة رسول ولا نبي إلا وقد حاول أعداء الرسل تشويهها على أتباعهم
وعوامهم. ، قال تعالى { كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر
أو مجنون * أتواصوا به بل هم قوم طاغون } ، وقال تعالى { وكذلك جعلنا لكل نبي
عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا } ، وقال تعالى
{ ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون }.

وعند أحمد من حديث جابر (حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر فيأتيه قومه
فيقولون احذر غلام قريش لا يفتنك) ، وهذا تشويه واضح.

وقال الشيخ عبد اللطيف : (وإذا بلغ النصراني ما جاء به الرسول r ولم ينقد
لظنه أنه رسول الأميين فقط فهو كافر وإن لم يتبين له الصواب في نفس الأمر
كذلك كل من بلغته دعوة الرسول بلوغا يعرف فيه المراد والمقصود فرد ذلك لشبهة
أو نحوها فهو كافر وإن التبس عليه الأمر وهذا لا خلاف فيه) [مصباح الظلام ص

.[326

* * *

هل هناك من لا يعذب من هذه الأمة إذا لم يعتنق الإسلام بسبب عدم وصول رسالة
الإسلام إليه ولو كان يستطيع البحث ؟

الجواب :

كل من لم يعتنق الإسلام من هذه الأمة أي أمة الدعوة بسبب عدم وصول رسالة
الإسلام إليه فليس بمسلم وهو مشرك كافر , قال تعالى { ومن يبتغ غير الإسلام
دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين } ، وقال تعالى { إن الدين عند
الله الإسلام } ، هذا بالنسبة للاسم والظاهر وأحكام الدنيا.

أما الحكم وهو العذاب والنار ، فمن قامت عليه الحجة ووصلته النذارة ثم مات
فانه معذب ، ومثل ذلك من مات وكان مفرطا متمكنا من العلم والبحث ، ومن ذلك
اليهود والنصارى فقد سمعوا الإسلام للحديث السابق ، ومن ذلك الوثنيين
والقبوريين قال تعالى { وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا }.

قال ابن القيم في كتابه طريق الهجرتين في فصل طبقات المكلفين في الدار الآخرة
الطبقة " 17 " قال : (وهم المقلدون وجهلة الكفرة) ، قال : (اتفقت الأمة
على أن هذه الطبقة كفار وان كانوا جهالا مقلدين لرؤسائهم وأئمتهم ، إلا ما
يحكى عن بعض أهل البدع انه لم يحكم لهؤلاء بالنار وجعلهم بمنزلة من لم تبلغه
الدعوة ، وهذا مذهب لم يقل به أحد من أئمة المسلمين لا الصحابة ولا التابعين
ولا من بعدهم ، وإنما يعرف عن بعض أهل الكلام المحدث في الإسلام) ، ثم قال :
(والإسلام هو توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له والإيمان بالله وبرسوله

وأتباعه فيما جاء به فما لم يأت العبد بهذا فليس بمسلم وان لم يكن كافرا
معاندا فهو كافر جاهل) اه.

أما اليوم فقد وصلت الدعوة كل مكان فلا عذر لأحد.

قال أحمد بن حنبل : (لا اعرف اليوم أحدا يدعى قد بلغت الدعوة كل احد ،
فالروم قد بلغتهم الدعوة وعلموا ماذا يراد منهم) اهـ ، [نقله ابن قدامة في
الجهاد ، ونقله الترمذي 5/267].

فإذا كان هذا في زمن الإمام احمد بن حنبل فما بالك اليوم !

* * *

وهل يحكم على من مات منهم - أي أهل الكتاب - بالنار ؟

الجواب :

نعم.

من وصلت له دعوة الإسلام كما ذكرت ولم ينقد ، فإنه يحكم عليه بالنار ويدل
عليه قوله تعالى { النار يعرضون عليها غدوا وعشياويوم تقوم الساعة أدخلوا آل
فرعون أشد العذاب }.

وفي الحديث الصحيح : (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني من
هذه الأمة ثم لا يؤمن بالذي أرسلت به إلا دخل النار) ، وحديث (لن تدخل
الجنة إلا نفس مسلمة).

وقال الشيخ عبد اللطيف : (وإذا بلغ النصراني ما جاء به الرسول r ولم ينقد
لظنه أنه رسول الأميين فقط فهو كافر وإن لم يتبين له الصواب في نفس الأمر
كذلك كل من بلغته دعوة الرسول بلوغا يعرف فيه المراد والمقصود فرد ذلك لشبهة

أو نحوها فهو كافر وإن التبس عليه الأمر وهذا لا خلاف فيه) [مصباح الظلام ص 326].

وما يتعلق بالنار والعذاب فان أهل الكتاب من يهود ونصارى قد بلغتهم الحجة اليوم بسماعهم بالإسلام ثم لم يؤمنوا ، لحديث (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني من هذه الأمة ثم لا يؤمن بالذي أرسلت به إلا دخل النار).

[اسئلة طرحت على الشيخ ضمن لقاء منتدى السلفيين]